الحان الخريف

[هذه الشذور شقيقة ما نشرناهُ في مقتطف نوفمبر وهي ايضاً من ديوان نابغتنا هي الذي نظمتهُ بالفرنسوية وسمتهُ بما ترجمتهُ «ازهار الحلم» فهل يقنع قراء المقتطف بان يكون نصيب هذه المعاني الشعرية النظم بالفرنسوية والنثر بالعربية وهي لغة المنشئة الاصلية؟ هذا سؤال نحيلهُ عليها — المقتطف]

(١)

طافت في الجوِّ روحُ الخريف، يا سوريا،
وعلى ضفاف النيل أنشأت ربَّةُ الشعر تشدو،
فتهاجني الشعورُ بالوحشة
لاغترابي عن سحرك البعيد الخفيّ...
وها يعاودني ذكرُ ربيعك البهيج
وعهدُ الساعات المفعمة هناء وصفواً —
ساعات خلَتْ من الغموم والدموع
ولكن سرعان ما تولَّت!

***

وفي تبلبل مخيّلتي وازدحامها
يتجلّى لي من لبنانك الوسيم
رسمٌ نمَّقَتْهُ إلهةُ الفنون
تحت سماء صافية وزرقةٍ فاتنة:
فألمحُ الارزَ الرفيعَ الذُرَى

تتمايل أغصانُهُ سامقةً نحو العلى
تُلامس أطلس الجو بينانها الخضراء المسلية
لمس قلم يخط على الصفحة النظيم . . .

***

وإني ، يا لبنان ، لأحدّث نفسي بحديث صيفك ،
وأسمعُ صدح أطيارك في حدائق حفلت بالورد ،
واستعيد نداءات القلوب ذات الحبّ الراسخ العنيد ،
التي ذاقت نشوةَ الطربِ في ظلّ أحراجك .
وتمتلكني حاجاتُ النفوس الغضّة النقيّة :
من ظمأٍ إلى الحبِ ، وركونٍ إلى الايمان ،
وثقةٍ بالأملِ والصدقِ والامتثال ،
ويقينٍ بذيوع العطف وخلودِ الصلاح .

***

كنتُ في المدرسة وسنّي دون الخامسة بعد العاشرة
ومشهد الأمواه يعرض لناظريّ رؤى الفراديس
فتهتزّ نفسي وتسمو وتطير . . . ومنذ ربيعين اثنين
لم تنسَ مني الشجن ، يا هذه الهزّة الشعرية !

***

كالشمس والصحو للدَجَنِ والمطر سحرهُ ،
وكالسعادة والهناء للألم والغمّ لذاذتهُ ،
وأعمق الخوالج عذوبةً وأعظم العواطف ايحاء

إنما نسبرها في الحرمانِ والتفادي

***

لذلك أُحبُّك، أيها الخريف الوسنان،
حبيّ للربيع رسول اليقظة والازدهار.
أحبُّ منك النسائم الكئيبة المتناوحة،
والامساء الخاشعة، والأحزان الحنونة.
أحبُّ ما يشيعُ في بنفسجيّ أشفاقك
من نغماتٍ كأنها آخر ما ترسلهُ القيثارة المحطَّمة،
فينتشرُ بثُّ الانين في أصداء الكتاب،
ويتباعدُ خفّاق المقاطع متلاشي الزفرات . . .

(٢)

لقد احمرّت أوراقُ الخريفِ
خجلاً من قبلةِ الفاترة،
إذ عانقها وناجاها بلسانِ نسيمهِ اللبق
الذي يتوانى حزناً ثم يعصفُ صائحاً

***

هوذا الافق على الرياض يبكي،
والاطيارُ تهجسُ قرب تدفُّقِ الغدران،
والعشبُ يرتعشُ عند معاطف الجبال
ارتعاشاً طويلاً واسعاً كارتعاشِ الأمواج

***

أيها الخريف ! يا موسم الصفائح والمعالم فوق القبور ،
وموسم الاشرطة والازهار المبللة بالدموع !
وموسم اشجار السرو الساجعة في المدافن
وموسم تفطر القلوب حسرةً وأسىً !

***

يا موسم ما لا يُنسى
مما نستحضرهُ حيال مضاجع الراحلين
إذ تتلمس أيادينا دقائق ما لا يُلمس
من أشتات الآمال المبعثرة الذاوية !

***

يا موسم الشكاية والعويل والانتحاب
بعد الضحك الذي انقضى ولنْ يعود ،
وموسم اليأس الذي يفجع الفؤاد
إزاء هدؤ المسافة وجور الزمان !

***

ها هي ذي روحك الموزّعة الشائعة
تتجمّع لندائي وتفزع للتذكارات الرهيبة :
فما أنت إجمالاً ، يا ايهذا الخريف ،
إلاّ موسم الاجفان المسبلة الجامدة ...

إيزيس كوبيا (مة)